2000uuuu.0002a.2

العامل الاجتماعي، صانع سلام في ظروف الحرب والعنف

الاسم: وداد مراد حلواني.

الوظيفة: مراقب في مديرية الشؤون الوزارية- رئاسة مجلس الوزراء .

السرايا الكبير-رياض الصلح,

من مؤسسات لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان التي نشأت في شهر تشرين الثاني من العام ١٩٨٢.

أوّد أن أبدأ كلمتي بالاشارة الى أمرين:

الأوّل: أنا لست عاملة اجتماعية بالمعنى المهني للكلمة، بل مجرّد امرأة سعت وتسعى لأن تكون مواطنة في بلد ما يزال يبحث عن معنى المواطنية. امرأة قادتها معاناتها الشخصية الى وعي معاناة الآخرين والعمل معهم كما سأشرح لاحقا".

الثاني: اني أجد صعوبة مثلّثة الجوانب في عرض تجربتي: صعوبة اختزال تجربة حوالي عشرين سنة بعشرين دقيقة (اذا احتسبنا الوقت المتاح للمداخلة مناصفة بين التكلّم والترجمة).

صعوبة التحدّث بموضوعية عن معاناة ما زالت قائمة، وعن قصّة لم يكتب فصلها الأخير و لم توضع لها نقطة النهاية بعد.

صعوبة التحدّث عن الذات، ليس لتكويني الشخصي فقط وانما نتيجة الجهد الذي بذلته لدى أهالي المخطوفين والمفقودين لوعي مأساة المجموعة وعدم التقوقع ضمن الدائرة الخاصّة.

رقعة صغيرة من الأرض اسمها لبنان وعشرون عاما" من الحرب ، من حروب في حرب . حرب اللبنانيين على أنفسهم ، حرب الآخرين عليهم وحرب الأخرين على الآخرين في لبنان. ناس تعيش في ساحة الحرب التي هي ضحيتها وجزء منها. هل من المهم الحديث عن الخوف والملاجىء، السيارات المفخّخة والحواجز؟ هل من المهم الحديث عن القنص والقصف العشوائي اليومي وعشرات الآلاف من القتلى، من المهجّرين، من المعوّقين، من الذين فقدوا كل شيء في الساحات؟ لم ينج الاّ بالصدفة ممن شاءت له الأقدار ذلك.

الا أن أقسى جرائم الحرب هي عمليات الخطف التي مارسها المتحاربون . فقد خطف الناس المدنيون لا لسبب اقترفوه وانما بسبب اختلافهم مع الجهة الخاطفة ، اختلاف بالانتماء الديني أو بالرأي السياسي أو بمكان السكن ... سنوات عشناها حيث كل مختلف عدّو، وكل عدّو هو هدف تجب ابادته .

صيف عام ١٩٨٢، كان أحد محطّات الحرب الرئيسية. اجتاحت اسرائيل لبنان، وصلت الى العاصمة،حاصرتها، أخرجت المقاومة الفلسطينية من بيروت بحرا". وفرضت واقعا" سياسيا"موال لها سرعان ما هوى باغتيال رئيس الجمهورية المنتخب وقبل أن يستلم مهامه. وتمثّلت قمة غضب اسرائيل بدخولها والميليشيات الموالية لها العاصمة بيروت وارتكبت أبشع الجرائم وتبقى مجازر صبرا وشاتيلا(مخيمين فلسطينين في بيروت) نموذجا" ورمزا" لما حصل.

عفوا"، لم تجتح اسرائيل العاصمة بل فقط شطرها الغربي. كانت بيروت (رمز وحدة الوطن قبل الحرب) قد انشطرت الى بيروتين منذ الأيام الأولى للحرب، ويبدو أنها وللأسف، ما زالت كذلك في النفوس حتى اليوم.

كنا نعيش عام ١٩٨٢ في ما سمّي بيروت الغربية، في منطقة رأس النبع، على خط التماس، على بعد أمتار قليلة من هذا المكان، انما في الجهة المقابلة أي العدّوة.ان الذين تخطّوا منا الثلاثين أو الخامسة والثلاثين،يتذكّرون الشعور الذي ساد معظم الناس في ذلك الوقت:ستنتهي الحرب أخيرا"، سيكون هناك غالب ومغلوب.وكما في كل الحروب للغالب نشوة النصر وللمغلوب يأس الهزيمة وكل شيء مباح.

كان عدنان حلواني،زوجي، واحدا" من بين عشرات ويمكن مئات من الذين عملوا منذ بداية الحرب على نبذ العنف والجريمة والتعصّب من موقع مسؤول. كانت له قناعاته،انتماؤه الى حزب سياسي وتحمّل مسؤولياته الحزبية. لكنه كان قبل كل شيء انسانا" مؤمنا"، يحلم بسلام وطن لا مكان فيه للتعصّب وبآخر مختلف وليس عدوّا".خلال حصار بيروت، كان الشغل الشاغل لعدنان هو تخفيف وطأة الحصار عن الناس، مساعدتهم في تأمين رغيف الخبز وماء الحياة.

وخطف عدنان في وضح النهار ومن داخل بيتنا،بحضوري وطفلينا ، وكان ذلك بتاريخ ٢٤ أيلول من العام ١٩٨٢ في تمام الساعة الواحدة ونحن نتهيّأ لتناول طعام الغداء.

وبدأت رحلة البحث عن عدنان.عن حبيب دمّر غيابه سلم العائلة وأمانها.عن حبيب دمّر خطفه سلمه وأمانه وحريته.

لم أترك بابا"الاّ وطرقته، سمعت الكثير من عبارات الأسف والتحسّر والوعود.وبين ليلة وضحاها، وجدت نفسي أبحث عن جميع الذين خطفوا وفقدوا خلال الحرب اللبنانية. وجدت نفسي أبحث عن سلام مفقود لدى آلاف العائلات التي خطف أو فقد حبيب لها.

وجّهت نداء" الى هذه العائلات عبر احدى الاذاعات المحلية من أجل اللقاء في مكان عام.منّيت نفسي أن ألتقي بثلاثة أو أربعة نساء تعشن نفس معاناتي.فوجئت بتجمّع مئات النسوة والأطفال في المكان والزمان المحددين متحدّين حالة الطوارىء المعلنة آنذاك والتي تمنع التجمعات.

هكذا ولدت قضية المخطوفين والمفقودين بعد مرور أقّل من شهرين على اختطاف عدنان.
وهكذا عاد المخطوفون والمفقودون بشرا" لهم أسماء وأعمار ووجوه وأهل وليسوا عنوانا" أورقما" يستخدم مزاجيا" في البازارات السياسية.
تجمعنا، تعرفنا على بعضنا البعض.وحّدتنا المصيبة في عمق انسانيتنا،فالتقينا من مناطق ومذاهب وانتماءات مختلفة.كان هدفنا واحدا" هو اطلاق سراح جميع المخطوفين والمفقودين لدى جميع الأطراف المتحاربة.
قمنا بتحركات يومية متحدّين خطر الرصاص والقذائف.التقينا رغم خطوط التماس والمعابر في زمن كان التقاء المواطنين يشكل جرما" في عرف المجرمين.
الكثير منا ،تعلّم خلال مسار العذاب الطويل، كيف يجتمع،كيف يستمع، كيف يبدي الرأي ويشارك في القرار.ينطلق من جرحه ليلاقي جراح الآخرين.يتخطى الحساسيات الذاتية من أجل قضية عامة.
سعينا الى سلامنا والى السلام.نادينا بعودة مخطوفينا وبادانة كل خطف واجرام.تظاهرنا سلميا"،ناشدنا المسؤولين أن يحملوا مسؤولياتهم،توجهنا الى الاعلام، الى المرجعيات الروحية، الى المؤسسات الأهلية المحلية والدولية،التقينا حتى بأسياد الحرب نستشف عندهم بقية من انسانيتهم.
حصلنا على وعود كاذبة وعلى تحديد ساعات صفر وهمية لحل القضية.
أعلن السلام عام ١٩٩٠، انتهت الحرب، على الأقّل في وجهها الداخلي الأهلي. عادت سلطة الدولة،أقفلوا الملفات،أصدروا قانون عفو عن جرائم الحرب.وكانت الصدمة: لم يعد أحباؤنا، لم يشملنا سلامهم.طالبونا كما طالبوا الجميع بالنسيان،بالنظر الى المستقبل،بالمشاركة بورشة بناء ما تهدّم. عن أي سلام يتحدثون؟ وهل ما حصل من تدمير للبشر على مدار عشرين عاما" هو حدث عابر؟
يريدون بناء وطن حقوق الانسان فيه أبخس من حق حيوان في مجتمعات تحترم فيها الحياة.
أين سلامنا؟ أين عدنان؟ أين ١٧٠٠٠ مخطوف ومفقود؟
استمر التحرك تحت شعار "من حقنا أن نعرف مصيرهم".
ان الحقيقة وحدها تسمح بالتصالح مع الذات وتؤسس للتسامح والمصالحة مع الآخر عدّو الأمس.
كان علينا مواجهة اللامبالاة والصمت.صمت المسؤولين الذين بينهم أسياد الحرب أنفسهم ولا مبالاة مجتمع بأسره يعاني احباطات السلام وانهيارات اقتصادية تجعل البعض يترحم على أيام الحرب،كان فيها بحبوحة.
لم يكن من السهل الاستمرار في ظل تعتيم اعلامي ورسمي وشعبي ودعوة شبه معلنة الى أن تصبح قضيتنا جزءا" من النسيان العام.

عام ١٩٩٥ ، ونتيجة لاستمرار تحركنا ، صدر القانون رقم ٤٣٤ تاريخ ١٩٩٥/٥/١٥ الذي أفسح المجال لمن يريد من الأهالي بتوفية مفقوده ، وغسل بيلاطس يديه .

نحن نطالب بلجنة تحقيق رسمية للتحري والاستقصاء وتحديد مصير جميع المخطوفين والمفقودين خلال الحرب اللبنانية وذلك من أجل جلاء الحقيقة .

نحن نطالب بمشروع رعاية اجتماعية لذوي المخطوفين والمفقودين ، وهذا حق لهم على المجتمع ممثلاً بمؤسساته الرسمية بالدرجة الأولى .

نحن نطالب بيوم وطني للذاكرة في ١٣ نيسان من كل عام (تاريخ اندلاع الحرب اللبنانية) ، ونطالب بإقامة نصب تذكاري يرمز إلى كل ضحايا الحرب ويدين كل جرائمها . لذلك رفضنا القانون عام ١٩٩٥ .

لم يغب عن بالنا يوماً أن تحقيق مطالبنا يستدعي التفافاً شعبياً حولها ، وأن قضية بهذا الحجم هي مسؤولية مجتمع بأسره .

لاقينا خلال السنوات الماضية بعض التعاطف الشعبي ، لكنه لم يتخطّ عتبة التعبير الكلامي . لم نكن ندري كيف نبدأ ومن أين نبدأ . فبدأنا بتجميع أسماء وعناوين أشخاص أعلنوا عن تضامنهم مع قضيتنا ، فتجمع لدينا مئات من الأسماء . أقمنا العشرات من اللقاءات في بعض المدارس والجامعات والجمعيات والأندية ..إلى أن أثمرت مثابرتنا بعد أن كدنا نيأس .

ففي ٢٩ تشرين الأول من العام ١٩٩٩ ، أطلقنا من بيروت مع أصدقاء لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين (مرفق هوية الأصدقاء) حملة شعبية " من حقنا أن نعرف " ، تبنت الحملة مطالب لجنة الأهالي دون تحفظ ، وامتدت الحملة إلى مناطق لبنانية أخرى .

تبنت أكثر من مئتي مؤسسة وجمعية من جمعيات المجتمع المدني مطالبنا ، وبدأنا مرحلة جديدة من تحركات ضاغطة منها اعتصام أسبوعي أمام مقر مجلس الوزراء ، آلاف الرسائل الموجهة إلى رئيس الجمهورية ، بالإضافة إلى حملة إعلامية مواكبة ، وتحركات أخرى عديدة .

بعد تسعين يوماً من انعقاد أول مؤتمر صحافي الذي أعلن فيه عن إطلاق الحملة ، صدر قرار عن رئيس مجلس الوزراء رقم ٢٠٠٠/١٠ تاريخ ٢٠٠٠/١/٢١ قضى بتشكيل لجنة تحقيق رسمية للاستقصاء عن جميع المخطوفين والمفقودين وتحديد مصيرهم .

وهكذا ، وبعد انقضاء عشر سنوات على انتهاء الحرب ، تعترف الدولة اللبنانية بأحقية مطالبنا وبأن قضية المخطوفين والمفقودين ما تزال عالقة .

بعد ثمانية عشر عاماً من التحرك المضني ، تعترف الدولة اللبنانية بلجنة أهالي المخطوفين والمفقودين كممثل وحامل لهذه القضية ، وذلك من خلال التعاطي الرسمي معها .

هكذا ، وبعد ثمانية عشر عاماً من السعي إلى السلام ، يستفيق مجتمع ممثلاً بجزء من مؤسساته وأفراده ليحضن قضيتنا بخصوصيتها كحاملة لبذور سلام يطال الأهالي ويطال مجتمعاً يتوق إلى السلام . هذا هو اليوم عزاؤنا المنقوص . ما زلنا ننتظر النتائج ، صدور التقرير عن لجنة التحقيق الرسمية .

ما زلنا ننتظر تحقيق كافة المطالب ، لكننا خطونا خطوة ولم نعد وحيدين ، حلمنا تحول أملاً .

صناعةالسلام أصعب المهن .

تعلمنا تخطي الخوف وتحاشي أفخاخ الاستقطاب .

تعلمنا مواجهة النفاق والكذب ، والتواطؤ ، والشعور بالوحدة الذي يولد الإحباط .

تعلمنا تخطي التضليل والابتزاز . تعلمنا ترويض التعصب الذي نخرنا كما نخر كل أفراد المجتمع .

تعلمنا ترويض الحقد والنقمة والرغبة في الثأر من مسببي مأساتنا .

تعلمنا ترجيه نقمتنا ومطالبنا على من بيدهم حل قضيتنا .

واجهنا أوضاعنا الاقتصادية ، واجهنا النظر إلينا بدونية وشفقة .

قست ظهورنا تحت سياط الظلم في الحرب والسلم .

أحيّي بخفر وإجلال من سقط منا شهيداً : نايفة نجار ، التي وضعت حداً لحياتها حزناً على طفلها المخطوف .

أحيّي كل الذين وافتهم المنية مرضاً أو هرماً قبل أن يروا نهاية النفق .

لهم تذكار وفاء من مجتمع حين يرتاح في السلام .

استمرارنا إعجاز نحن صنعناه . حبنا لأولادنا وأولاد أولادنا ، جعلنا نخترع أدوات مواجهة الحروب ، ونجترح يوم السلام . وهو لا بد آت ..